

آراء ومواقف للجبرية

وقد اشتهر هؤلاء في الجدل، يقول قائلهم -يشبه أفعال الله- فيقول: ألقاه في البحر مكتوفا وقال له إياك إياك أن تبتل بالماء فيقولون: إن العبد بمنزلة إنسان أوثقت يده، وألقي في البحر، وقيل له: لا تبتل بالماء، إن هذا ليس في إمكانه، ليس في إمكانه أن يمتنع من أن يبته الماء. وذكر أن أحد هؤلاء وإن كان من الملاحدة، دخل على شيخ الإسلام وأعطاه أبياتا يعترض فيها على حكم الله تعالى، ويحتج بالقدر التي أولها: أيا علماء الدين ذمي دينكم يدعي أنه ذمي. تحير دلوه إلى كل سنة إذا ما قضى ربي بطردي وشقوتي وحكم بإبعادي فما وجه حيلتي دعائي وسد الباب دوني فهل إلى دخولي سبيل بينوا لي قضيتي يعني يشبه أنه دعاه وسد الباب دونه، وأنه ليس له حيلة في الدخول. فرد عليه شيخ الإسلام بالقصيدة المشهورة التي على وزن قصيدته والتي أولها قوله: سؤالك يا هذا سؤال معاند مخاصم رب العرش باري البرية وتدعى خصوم الله يوم معادهم إلى النار طرا معشر القدرية سواء نفوه أو سعوا ليخاصموا به الله أو ماروا في الشريعة وصلت إلى نحو مائة وثلاثين بيتا أبطل بها شبهته، ويبيّن أن الله تعالى حكيم، وأن له الحكمة، وأنه سبحانه هو الذي قدر المقادير وهو الذي حكم على هذا بشقاء، وعلى هذا بإبعاد وعلى هذا بتقريب، ولكنه مع ذلك قد { قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلَقَهُ ثُمَّ هَدَى } وأعطى الإنسان قدرة تناسبه، أعطى الإنسان وأعطى الحيوانات، وأعطى جميع المخلوقات قدرة تنسب بها إليهم أفعالهم؛ فلذلك يكون العبد هو الذي يزاوّل أفعاله، وهو الذي يثاب على حسنها ويعاقب على سيئها.